﴿*وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: 29]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تعذيبُ المتبوعِ يقتضي تعذيبَ التّابِعِ

لمّا نفى اللّه تعالى الشَّريك مطلقاً، ثمَّ مقيداً بالولديّة أتبعه التَّهديدَ على ادّعائِه بتعذيبِ المتبوعِ المقتضي تعذيبَ التّابعِ، فقال: ﴿*وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿دُونِهِۦ﴾: يدور معنى الكلمة على كَوْنِ الشّيء منخفضًا في أسفلِ شيء، وينبئُ اللّفظ عن دنوٍّ أي: قُربٍ كثيرٍ وانحطاطٍ قَليلٍ، ثمَّ اتَّسع فيه واسْتعْمل في انحطاط المحسوس كقولهم: ثوبٌ دونٌ أي رَديء، وفي تفاوت المراتب المعنويّة، كقولهم (زيد دون عمرو في الشّرف)، ثمَّ اتَّسع في هَذا المُسْتَعار فاسْتعْمل في كلِّ تجاوزِ حدٍّ وتخطّي حُكمٍ إلَى حكم، وإن لم يكن هُناكَ تفاوت وانحطاطٌ، وهوَ في هَذا المَعْنى مجازٌ في المرتبَة الثّالثَة، فيكون قريبًا من معنى (غير) كَأنَّهُ أداةُ الاسْتِثْناء نَحْو قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الزمر: 3][2]، و﴿دُونِهِۦ﴾ في الآية بمعنى غير.

2) ﴿نَجْزِيهِ﴾: الجزية في الأصلِ خَراجُ الأرضِ، ويدور معنى الكلمة على قيامِ الشَّيْءِ مَقامَ غَيْرِه ومُكافَأتِه إيّاهُ سواء أكان في الخير أم في الشَّرِّ، وفي الدُّعاءِ جَزاهُ اللّه خَيْرًا أيْ قَضاه لَهُ وأثابَهُ عليه، ويُقالُ جَزَيْتُ فُلانًا وجازَيْتُهُ، وتَجازَيْتُ دَيْني على فُلانٍ أيْ

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 409.

(2) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (دون)، والكفوي، الكليات، ص: 451.

تَقاضَيْتُهُ، وجزيتُ حقَّه أي قضيتُه، ولم يجئ في القرآن إلّا جزى دون جازى، وذاك أنّ المجازاة هي المكافأة، وهي مقابلةُ نعمةٍ بنعمة هي كفؤُها، ونعمةُ الله لا كُفْء لَها، ولهذا لا يستعمل لفظُ المكافأة في حقِّ الله ﷻ[1]، ومعنى ﴿نَجْزِيهِ﴾ نقضيه حقَّه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الله تعالى لا يحابي أحدًا حتَّى أكرمَ الخلقِ عندَه

أخبرَ الله تعالى في هذه الآية أنَّه لا يحابي أحدًا حتَّى أكرمَ الخلقِ عندَه، وأنَّ حالَ الملائكة كحالِ سائر المكلّفين في الوعدِ والوعيدِ، فأخبرَ أنَّه من يدَّعى من الملائكةِ أنَّه إلهٌ من دونِ الله - وإنْ كان ذلك لا يقع منه لعصمتِهم، لكنَّه على سبيل الفرضِ - فجزاؤُه جهنَّمُ على ما ادَّعى، ولا يغني عنه ما سبق من أوصافِه ومرضيِّ أفعالِه، وهكذا نجزي كلَّ مَنْ ظلمَ نفسَه، فكفرَ بالله وعبدَ غيرَهُ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ في الآية:

فرضُ الشِّركِ وبيانُ عقوبتِه للمقرّبين عند الله تعالى لبيانِ فظاعة الشّرك وتعظيمِ شأنِ التّوحيد

أفادتِ الواو عطف ﴿*وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ على ما قبْلَها من الآياتِ التي وصفت كرامتَهم عليه سبحانه وقُربَ منزلتهم عنده، فبعدَ أن أثنى عليهم، وأضاف إليهم تلك الأفعالَ السَّنيَّةَ والأعمال المرضيَّة، فاجأ بالوعيد الشّديد، وأنذر بعذاب جهنّمَ من أشرك منهم، وهو على سبيل الفرضِ والتّمثيل، لإحاطة علْمه تعالى بأنَّه لا يكون كما قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: 88]، فقصدَ بذلك تفظيعَ أمرِ الشرك، وتعظيمَ شأن التوحيد[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (جزى).
(2) المراغي، تفسير المراغي: 17/ 22.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 113، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 423.

الغرضُ منَ التّعبير بأسلوب الشّرطِ:

إذا كان الوعيدُ للمقرّبين عند الله إن أشركوا فكيف يكونُ حالُ مَن يدّعي الألوهيَّةَ ومَن يتّبعونهم

عبّر بأسلوبِ الشّرط في قوله ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ المفيدِ معنى التّعليق؛ ليكون الكلامُ على سبيلِ الفرضِ والتّمثيل؛ لأنَّ أداةُ الشَّرْطِ تَدْخُلُ على المُمكِنِ والمُمتَنِعِ نَحْوَ قَوْلِه تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65] وهَذا شَرْطٌ، والشَّرْطُ لا يَلْزَمُ وُقوعُهُ[1]، فجاء الكلامُ بأسلوبِ الشّرط المقتضي استبعادَ أن يكون مثلُ هذا القول من الملائكة، ليكونَ على طريق الاحتجاج والاستدلال للوصول إلى الإذعان والتّسليم، أي: فإذا كان هذا هو شأنَ المقرّبين إلى الله، فكيف يكون شأنُ غيرهم ممّن يدّعي الألوهيَّة وممّن يتّبعونهم؟!

بلاغةُ مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر:

العُـدول عن (إنْ) إلى (مَـنْ) من بلاغة نظم القرآن

لمّا كان الكلام على الفرضِ والتّمثيل، لاستحالة وقوع ذلك القول المعيَّن من الملائكة الذين لا يسبقون الله تعالى بالقولِ مطلقًا، وهم بأمرِه يعملون كان الظّاهرُ أن يأتي الشّرط بصيغة (إنْ) التي تفيد استحالة الوقوع أصلًا، فعُدلَ إلى اسم الشّرط (مَنْ) في قولِه ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾؛ لأنَّ المقصودَ الحكمُ على الأفرادِ التي اشتمل عليها فعلُ القولِ وليس على فعلِ القولِ فقط، ولهذا قال ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾، فعاد اسمُ الإشارة إلى اسم الشّرط (مَنْ) المرادِ به الذّواتُ المتّصفةُ بالقولِ الشّنيع، ولو جيء بـ(إنْ) فقيل (وإن أحدٌ منهم يقل إني إله من دونه) كما هو فصيحُ القول بتقديم الاسم على الفعل كان الحكم على فعلِ القولِ فقط؛ لأنَّ محطَّ النّظر مع (إنْ) هو فعل الشّرط، لتعلّق (إنْ) الشَّرطية بالفعل وليس بالذّات، ولَما صحَّ الجزاء بما ذُكر في الآية، مع أنَّ التّعبير بـ(وإن أحدٌ منهم يقل) فيه ضعفٌ في نظم الكلام، وفيه تقديم الجارِّ والمجرور ﴿مِنْهُمْ﴾ على الفعل، فيفيد التّخصيصَ، بمعنى أنَّ الجزاء المذكور خاصٌّ بمن يقول هذا القولَ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 423.

من الملائكة، والمقامُ ينافيه، لأنَّ الكلامَ جاء على سبيل الفرضِ لأبلغيَّة التّهديد للمشركين الذين يقولون هذا القول القبيحَ، وذهب ابنُ عاشور إلى أنَّ العدولَ عن (إنْ) الشّرطيّةِ إلى (مَنْ) لِلدَّلالَةِ على العُمومِ مع الإيجازِ[1].

دلالةُ التّعبير بالمضارع ﴿يَقُلْ﴾:

عبِّرَ بصيغة المضارع ﴿يَقُلْ﴾ في قوله ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الذي جاء في سياق الشّرط؛ للإيذانِ باستحالةِ وقوعِ هذا القول من الملائكة المعصومين، وليشملَ الجزاءُ كلَّ من يقول هذا القولَ في المستقبل.

استحالةُ وقوعِ ذلك القولِ المشين من عباد الله المكرمين

فائدةُ (مِنْ) في قولِه ﴿مِنْهُمْ﴾:

تحتملُ (مِنْ) في ﴿مِنْهُمْ﴾ من قوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أن تكون بيانيَّةً أي هي لبيان مدلولِ اسمِ الشّرط والفاعل في قولِه ﴿وَمَن يَقُلْ﴾، وهو الظّاهرُ؛ لأنَّ السّياق فيهم، كما تحتملُ أن تكون للتّبعيضِ، والمعنى: من يقل من الخلائق، فيدخلُ الملائكة دخولًا أوّليًّا[2].

اسمُ الشّرط يفتقرُ للبيان

الغرضُ من تقديم شبه الجملة ﴿مِنْهُمْ﴾ على مقول القول:

لمّا كان الضّمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ عائدًا على الملائكة، لِتقَدُّم ذكرِهم واقتضاءِ السّياق له كانَ المعنى: ومن يقل من الملائكة، وفائدةُ تقديم الجارّ والمجرور ﴿مِنْهُمْ﴾ على مقول القول في قوله ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ الإشعارُ بأنَّ الكلامَ نصٌّ فيهم، والتّنبيهُ على كونِهم بمعزل عمّا قالوه في حقِّهم، فيكونُ أبلغَ في الرّدِّ والتّهديد؛ لمجيئِه على سبيل الفرض والتّمثيل[3]، ولمّا ذكرَ الملائكة مع قُربِهم وشرافتِهم على سبيل الفرضِ عُلِمَ حكمُ غيرِهم بطريق الأولى.

لمّا ذكر الملائكةَ مع كرامتِهم عند الله على سبيل الفرضِ عُلِمَ حكمُ غيرِهم بطريق الأولى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 52.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 508.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 64، والقاسمي، محاسن التأويل: 7/ 189.

الغرضُ من تتابُعِ تأكيدِ مقول القولِ:

تأكيدُ مضمونِ الجملة يقتضي التّأكيدَ

أفادت (إنَّ) واسميّةُ الجملةِ في قوله ﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ تأكيدَ مضمونِ الجملة وتقريرَها، بمعنى أنَّ ادّعاء الألوهيَّة لا يمكن أن يصدرَ من أحدٍ، فإذا صدرَ فلا يكون إلّا افتراءً وكذبًا، ولهذا لا يقال مثلُ هذا القول الشّنيعِ إلّا مؤكَّدًا؛ لأنَّ أيَّ مخاطَبٍ يُنكره، ليفيدَ أنَّ إنكارَه واضحٌ لا شُبهةَ فيه.

فائدةُ حرفِ الجرّ ﴿مِّن﴾ في قولِه ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾:

استغراقُ جميع الرّتبِ الدّونيةِ يقتضي التّعبيرَ بمن قبْلَ دون

يفيد حرفُ الجرِّ ﴿مِّن﴾ في قوله ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ الابتداء، وفائدةُ مجيئِه النّصُّ على استغراق جميع الرّتب التي تحتَ رُتبةِ الإلهيَّة، وأنَّ كلَّ من هو من دونِ الله لا يستحقُّ أن يكونَ إلهًا.

نكتةُ التّقييد بالجارِّ والمجرور ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾:

من يدّعي الألوهيَّةَ هو من الظّالمين لتعدّيه في ادّعائِه حقًّا ليس له

لمّا كان الجارّ المجرور ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ صفةً للفظ ﴿إِلَٰهٌ﴾ في قوله ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ وكانتِ الصّفةُ قيدًا للموصوف أفاد أنَّه لا يكون لهذا الكون إلّا إلهٌ واحدٌ، لأنَّه قال ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ بمعنى استحالَةِ وقوعِ الشّركة في الألوهيَّة وامتناعِ وقوعِها، ولمّا ثبتَ أنَّ الله تعالى هو الإلهُ دلَّ على أنَّ من يدّعي الألوهيَّةَ هو من الظّالمين لتعدّيه في ادّعائِه حقًّا ليس له.

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿دُونِهِۦ﴾:

الإيذانُ بخسَّةِ كلِّ مخلوقٍ يدّعي الألوهيَّةَ

أفاد التّعبيرُ بلفظ ﴿دُونِهِۦ﴾ في قوله ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ أنَّ المعنى: ومن يقل منهم إنّي إلهٌ من غيرِ الله، وعبَّرَ بالدّون إيذانًا بخسَّة كلِّ مخلوقٍ يدّعي الألوهيَّةَ، فأفاد التّعبيرُ بلفظ ﴿دُونِهِۦ﴾ معنيين، مع عذوبةِ اللّفظِ وحسنِ النّظمِ.

معنى الفاء ودلالتُها في ﴿فَذَٰلِكَ﴾:

لمّا كانت الفاء الواقعةُ بين جملتين تفيد التّرتّب والسّببيَّةَ وكان الشّرطُ في أصلِه سببًا لوقوعِ الجزاء، أفادتِ الفاء في قوله ﴿فَذَٰلِكَ

أسلوبُ الشّرطِ في الآيــة إنَّـما فُــرِضَ تـهـديـدًا للمشركين ولمن يقول مثلَ هذا القول الشّنيع

﴿نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ تحقيقَ أنَّ من يقول هذا القول الشّنيع يترتّبُ عليه أن يكون جزاؤه جهنَّمَ، ولمّا كان الشّرط على سبيل فرضِ هذا القولِ من الملائكة وكان مقطوعَ الانتفاء لأنَّهم ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ دلَّ على انتفاء وقوعِ الجزاء لهم، ليدلَّ على أنّ الشّرط إنَّما فُرِضَ تهديدًا للمشركين ولمن يقول مثلَ هذا القول الشّنيع[1].

نكتةُ التّعبير باسم الإشارة (ذَلِكَ):

ادّعـاءُ الألوهيَّة إجرامٌ، وصاحبُ القول يستحقُّ به جهنَّمَ

عبَّرَ باسم الاشارة (ذَلِكَ) في قوله ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ لتمييز المشار إليه أكملَ تمييز وتعيينِه بذكرِه بوساطة الإشارة إليه حسًّا، وأُدخِلَ اسمُ الإشارَةِ في جوابِ الشَّرطِ؛ لأنَّه لمّا كان اسمُ الإشارة عائدًا على اسم الشّرط ﴿وَمَن﴾ أفادَ تحقيقَ تعليقِ الجزاء على الشّرط لِلدَّلالَةِ على أنَّ مضمونَ الجزاء في قولِه ﴿نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ مستحَقٌّ لِمَنْ ثبتَ له مضمونُ الشّرطِ، وهو جديرٌ به، كما أنَّ في التّعبير بـ﴿فَذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى فاعلٍ فعلَ، ويلزمُ منها الإشارةُ إلى الفعل، فهي إشارة إلى أنَّ ذلك القول إجرامٌ وأنَّ صاحبَه يستحقُّ به جهنَّمَ[2]، وعبَّرَ باسم الإشارة للبعيد للإشعارِ ببعدِ من يقول إنّي إله من دون الله، أي إنَّه ذلك هو اللّعين الذي لا يصلح للتّقريب أصلاً ما دام على ذلك[3].

بلاغةُ مجيء المسنَد جملةً فعليةً:

مصيرُ الكفّار إلى النّار أمرٌ محقّقٌ مؤكّدٌ

أفاد مجيءُ المسند جملةً فعليَّةً في قولِه ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ تقوّيَ الحكم، بمعنى تحقيقِ أن يكون جزاءُه جهنَّمَ دونَ تخصيص جهنمَّ به، فجزاؤه محقّقٌ مؤكّدٌ.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 508.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 52، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4854.
(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 410.

دلالةُ التّعبير بالفعل المضارع ﴿نَجۡزِيهِ﴾:

عبّرَ بالفعل المضارع للإشعار بتجدّد الجزاء لكلِّ من يقول هذا القولَ الشّنيعَ، وتجدّدُ العقوبة تفظيعٌ لها.

براعةُ الجمعِ بين فائدة الخبر ولازمِها:

جُمِعَ في قولِه تعالى ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ بين فائدة الخبر ولازمِها، وكلاهما مقصودان، ففائدةُ الخبر في قوله ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ هي الإخبار عمّن يدّعي الألوهيّةَ بأنَّ جزاءه جهنَّمُ يتعذّبُ فيها، ولازمُ الفائدة هو: الإيذانُ بقوّةِ ملكوتِ الله تعالى وعزّةِ جبروته واستحالةِ كونِ الملائكة بحيث يُتوهّم في حقِّهم ماتوهَّمه أولئك الكفرةُ، ومن لازم الفائدةِ كذلك الإعلامُ بأنَّ جهنّم مأوى المبعدين، وبيانُه أنَّه لمّا أخبرَ عن الملائكة بأنَّهم عبادٌ مكرمون ممّا يفيدُ أنَّهم مقرَّبون، ولهم منزلةٌ كريمةٌ عنده تعالى وكان جزاءُ من يدّعي الألوهية منهم – على سبيل الفرضِ – جهنَّمَ أفادَ أنَّ جهنَّم مأوى المبعدين المطرودين، وأيضًا لمّا أخبر عمّن يدّعي الألوهيّة بأنَّ له عذابَ جهنَّم أفهم بلازمِه تعذيبَ أتباعِه؛ لأنَّه من بابِ الأولى[1].

جـهـنّـمُ مـأوَى المُبعدين

بلاغةُ التّشبيه:

في قولِه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تشبيهٌ لطيفٌ، وبيانُه أنَّه لمّا كان اسمُ الإشارة يعود على المصدر المفهومِ منَ الفعل ﴿نَجۡزِيهِ﴾ كان التّقديرُ: (مثلُ جزاء الظّالمين وهو جهنَّمُ نجزي المُثبتينَ للّه شريكًا)؛ للإشعار بأنَّه جزاءٌ فظيعٌ، وفيه توكيد لمضمون ما قبلَه، لأنَّه تعالى أخبر أنَّه سيجزي جهنَّمَ من يقول ذلك القول، ثمَّ قرَّر المعنى وأكّده بأنَّ الجزاء المذكور هو جزاء الظّالمين، فأفاد

ادّعـاءُ الألوهيّة شـركٌ وظـلـمٌ فـيـسـتـحـقُّ صاحبُه فظاعةَ العذاب

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 410.

انَّهم استحقّوا جهنَّم بعقوبتين أحدهما إحداهما إشراكُهم باللّه، والأخرى ظلمُهم بادّعاء حقِّ الألوهيَّة[1].

فائدةُ الاستئناف البيانيّ:

الـجـزاءُ شاملٌ لكلِّ ظالمٍ

جاء قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على طريقة الاستئناف البياني، وبيانُه أنَّه لمّا كان الكلامُ مقتضيًا السّؤالَ عن غير هذا من الظَّلمة، كان كأنَّه قيل: فما حالُ الظّالمين الذين يشركون باللّه تعالى، فقيل ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] لتفيد جملةُ الاستئناف معنى العموم والكليَّة.

فائدةُ القصرِ بطريقة تقديمِ الجارِّ والمجرور:

جـزاء الـظّـالمين يزيد يومَ القيامة على حسبِ نوعِ الظّلم

لمّا تقدَّم الجارُّ والمجرور ﴿كَذَٰلِكَ﴾ على عاملِه في قوله ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ كان الكلامُ على القصر، والمعنى: مثلُ ذلك الجزاء نجزي الظّالمين لا مثلَ غيرِه؛ إشعارًا بفظاعتِه وشدّتِه، ولمّا كان الكلامُ مسوقًا في بيانِ فظاعة عذابِ من يدّعي الألوهيّةَ كان القصرُ المستفادُ من تقديم الجارِّ والمجرور معتبَرًا فيه النِّسبةُ إلى النُّقصان دونَ الزّيادة، أي: نجزي الظّالمين مثل ذلك الجزاء، لا جزاءَ أنقص منه، فقد يزيدُ عليه على حسبِ نوعِ الظّلمِ الذي يرتكبُه[3].

إيثارُ التّعبير باسم الفاعل المشتقِّ:

المرادُ منَ الظّالمين هنا المشركون

عبّر بلفظ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دون غيرِه في قوله ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ لأنَّه لمّا كان الظّلمُ هو وضعَ الشَّيءِ في غيرِ موضعِه على جهةِ التّعدّي، أفاد أنَّ من يدّعي الألوهيّةَ قد تعدّى بإشراكِه وادّعاءِ الرّبوبيَّة، فاستحقَّ أن يكون من الظّالمين؛ لأنَّه بهذا القولِ قد تجاوزَ طورَه، فوضعَ الألوهيَّةَ، والعبادةَ في غير موضعِهما، فالمرادُ منَ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 64، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 52.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 410.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 64.

الظّالمين هنا المشركون[1]، وقد أفاد التّعبيرُ بصيغة اسم الفاعل أنَّ المرادَ من الظّالمين من صار الظّلمُ وصفًا ثابتًا لهم، والمعنى: مثلُ هذا الجزاء الفظيع جدًّا نجزي الظّالمين كلَّهم ما داموا على ظلمِهم[2]، وقد عبِّرَ بصيغة اسم الفاعل الذي هو من المشتقّاتِ؛ للإشعار بعِلّيَّةِ المأخَذِ، وسبب الجزاءِ، بمعنى أنَّ ظلمهم هو سببُ جزائِهم بجهنَّم، ففيه بيانُ مناط الجزاء فيفيدُ العموم كلَّما تحقَّقَ المناط، أي: الظّلمُ سببُ الشّرك باللّه تعالى.

معنى اللّام ودلالتُها في: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

تفيدُ اللّام في قوله ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الاستغراقَ، بمعنى: نجزي الظّالمين كلَّهم من غير استثناء[3].

بلاغةُ جملةِ التّذييل:

أفادت جملةُ التّذييل في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: عمومَ المعنى، وكلّيتُه مع إيجاز اللّفظ واختصارِه، بمعنى أنَّ كلَّ ظالمٍ مشركٍ باللّه تعالى له نفسُ الجزاء المذكور لا ينقصُ منه، والتّعبير بلفظ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع تذييل الكلام يفيد أنَّ ما أشير إليه هو من العادات التي لا تتخلَّف، وأنَّه محقَّقٌ، فهو بمثابة السُّنن الفعليَّة الثّابتةِ، ويؤيّده مجيءُ الفعل ﴿نَجۡزِي﴾ بصيغة المضارع الدّالِّ على التّجدّد والاستمرار، فيقتضي أنَّ جزاء الظّالمين المشركين المذكورَ هو من عاداتِ اللّه تعالى التي لا تتخلَّفُ معهم، ومثله قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ [الاعراف: 101] وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣﴾ [يونس: 13] وقولُه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠﴾ [الصافات: 80]، ولهذا يأتي مثلُ هذا الأسلوب في جُمل

كلّ ظالمٍ مُشركٍ باللّه تعالى جزاؤه جهنَّمُ لا ينقصُ من جزائه شيءٌ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 49، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 64، والقنوجي، فتح البيان: 8/ 320.

(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 410.

(3) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 410.

التّذييل، أو في موضعِ الاستئناف غالبًا، ولمّا جاءت جملةُ التّذييل على معنى العموم، وتضمّن الوعيدُ من يدّعي الألوهيَّةَ ممّن قال اللّه فيهم ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ أفادت الجملة التّعريضَ بكلِّ من يقول ذلك، وبالنّصارى الذين يدّعون إلَهيَّةَ عيسَى ﷺ لأنَّهُم يَقولونَ عليه ما لَم يَقُلْهُ، ففيه إبطالٌ لقولِهم، والحكمُ عليهم بأنَّهم ظالمون في قولِهم المذكور، وفيه كذلك الوعيدُ بجهنّم لهم[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجزاء والعقاب:

الجـزاءُ يكون في الخـيرِ وفي الشّرِّ، والعقاب مـخـتـصٌّ بالعذاب

الفرق بينهما هو أنَّ الجزاءَ ما فيه الكفايةُ من المقابلة، ففيه معنى قضاءِ الحقِّ كاملًا والاكتفاءِ به، ومِنْه قَولُ النّاس: اجتَزَأْتُ بكَذا وكَذا، وتَجَزَّأْتُ بِهِ، وأجْزَأْتُ بِهَذا المَعْنى، والمعنى: اكتفيت به، ويكون الجزاء في الخير والشّرِّ، أي: يكون ثَوابًا، ويكونُ عِقابًا، وأمّا العقاب والعقوبةُ فهي جزاءُ الشّخص بِما فعل سوءًا، فالعقوبة والعقاب والمعاقبةُ مختصَّةٌ بالعذاب، وإنَّما سُمّيَتْ عُقوبَةً؛ لِأنَّها تتلو الذّنبَ وتكونُ بعدَه[2]، ولمّا كان السّياق في بيان توفية حقِّ من يقول من الكافرين إنّي إلهٌ من دون اللّه وقضاء حقِّ الظّالمين بسبب ظلمِهم عبَّرَ بـ﴿نَجْزِيهِ﴾ و﴿نَجْزِى﴾ دون نعاقبُ.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 508، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 52.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (جزى، عقب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»